(١٧)

إنسان
لا إله إلا الله
عبد معناه ورب مبناه

حديث الجمعة
١٣ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٢ أكتوبر ١٩٦٢ م

بسم الله، وبرحمة الله، نشهده لا إله إلا الله، ونؤمنه لا إله إلا الله، ونقومه لا إله إلا الله، ونرجوه لا إله إلا الله، ونبقاه لا إله إلا الله. عليها نموت، وبها نحيا، وفيها نبعث، وبها نعمل، وإليها نصير.

على لا إله إلا الله قام الدين، وبها قام الإسلام، ومنها تواجدت الفطرة، وعليها دار الوجود. منها أرسل الرسل، وبها قام الرسول، ولها استجاب المؤمنون.

لا إله إلا الله، هي الدين، وعلم الدين، وعَلَم الدين.

لا إله إلا الله، هي الإنسان، ورب الإنسان، وخلق الإنسان، وإله الإنسان.

لا إله إلا الله، هي الأزل، وهي القيام، وهي الأبد.

لا إله إلا الله، يقولها اللسان، ويدركها العقل، ويحياها القلب، وتستقيم بها الذات، وتتوحد بها الجوارح.

لا إله إلا الله، روح الإنسان، وعقل الإنسان، ونفس الإنسان، وذات الإنسان، وزمان الإنسان، ومكان الإنسان، ودورة الإنسان بين شهادة الإنسان وغيب الإنسان.

على لا إله إلا الله، دارت رسالة الإسلام مع محمد، وبلا إله إلا الله، بُعث محمد، وفي لا إله إلا الله، قامت عبودية محمد، ومن لا إله إلا الله، بُلغنا قرآن محمد، وسنة محمد، وأثر محمد، وتشريع محمد، وأدب محمد، وقدوة محمد، وأسوة محمد.

بلا إله إلا الله، قامها محمد، لا يغيب محمد، ولا يدرك محمد، ولا يلاحق محمد، ولا يختفي أثر محمد، ولا ينقطع تلاحق بمحمد.

لو أن أمة محمد تواجدت بتواجده، ما انخفض لها صوت، وما ذلت لها يد. وإن كان لمحمد أمته ما غابت وما انقطعت، ولكنها بعد ما ظهرت وأن وجدت وما عمَّت في مجالها من الأرض بقيامها كتابا وعلما، وإن عمت برحمتها عن العذاب حجابا، وتجددت بعمدها أفرادا. فما قامت أمة محمد ممن ظهر ويظهر أمة محمد أو يزعم له أمة محمد من الناس بلا إله إلا الله يلوكها لسان ولا يقوم بها جنان. ولكن لا إله إلا الله ما فارقت أمة محمد، وما أمة محمد في لا إله إلا الله إلا الأرض مزوية، وما أخرجت الأرض مطوية، وما أنبتت البشرية ما تواجدت، وتلاحقت، وبقيت، فلا إله إلا الله ما فترت، وما ضعفت، وما تعجلت، ولكن أمة محمد من الناس كتابا وقياما ما عمت على ما وعدت، وما عزّت على ما بدأت، وما استقامت على ما اهتدت، وما قامت فيما عرفت. ولكن أمة محمد في لا إله إلا الله تواجدت، ومن لا إله إلا الله ولدت ووجدت، وعلى لا إله إلا الله شبت ونمت، وبلا إله إلا الله بعثت وما خمدت، وما توقفت في فرد وبيت وعصبة فردها لا إله إلا الله، وبيتها لا إله إلا الله، وجمعها لا إله إلا الله، وأمتها لا إله إلا الله، وبشريتها لا إله إلا الله، ووجودها لا إله إلا الله.

فكيف تغرب لا إله إلا الله، وكيف تشرق لا إله إلا الله، في وجود هو لا إله إلا الله؟

وكيف تموت رسالة؟ وكيف تخمد جذوة رسول؟ وكيف ينقضي أمر أمة قامت بلا إله إلا الله، وهدفت إلى لا إله إلا الله؟

ها هي لا إله إلا الله في هذا العصر وفي هذا الزمان، وإن كانت في كل عصر وفي كل زمان، تُظهر أمرها، وتقطع عن الأرض خبثها، وتزرع في الأرض حرثها، وتحصد من الأرض لحساب السماء ما لها، وتبعث من السماء لحساب الأرض ماءها، وما أمرها، وما قدرتها، وما حقها، وما غرسها، وما طلعتها، وما قربها. ها هي تخرج من باطن الأرض لظاهر الأرض طيبها كما تبعث من عنان السماء لسماء الأرض طيبها.

ها هي بلا إله إلا الله تتصل الأرض بالسماء، وتتصل السماء بالأرض، فتكمل في لا إله إلا الله دورة لا إله إلا الله في غيبها وشهادتها، لظاهر وباطن الحياة بلا إله إلا الله.

ها هو الإسلام، بلا إله إلا الله، يسترد أرضه، ويسترد بيئته، ويشعل جذوته، ويتدفق بمائه من أحواض رحمته، أنهارا تشمل أرض لا إله إلا الله.

ها هي لا إله إلا الله، تقوم ظاهرة بفعلها، فتكشف عن أسرار الله، بين غيب الإنسان بحقيقته وشهادته بجلباب ظهوره، ظاهرها من قبله العذاب وباطنها من قبله الرحمة. ها هو الإنسان يشتت ويجمع بين مادته وروحه في علانية بلا إله إلا الله.

ها هي تجعل من أحداث الزمان مشهودة في الاتصال الروحي في القصاص والنحر حياة. ها هي تجعل في الموت عن المادة بالروح حياة، ها هي تداول الأيام والأوقات والأزمان بين الناس، على شهود للناس، وعلى إدراك للناس، وعلى غفلة من الناس، وكم من آية في السموات والأرض، وفي أنفسهم يشهدونها، ويمرون عليها، فلا يأخذون لأنفسهم منها عظة، أو علم أو وعي، ولكن عنها يعرضون، وإليها لا يلتفتون، ومنها لا يعلمون! وما أشبه الليلة بالبارحة، لا جديد في الصمد، ولا جديد تحت الشمس جعلت عليه دليلا.

ولكن دورة الأيام، ودورة الخليقة، ودورة الخلق، ودورة التطور، إنما هي الجديد على كل طور، تغيب عنه أطواره، ولا يتذكر لأحواله، ولا يتعظ بماضيه لحاضره، ولا يقدر لحاضره حاضر آبائه، ولا يتلاقى في حاضره ما سوف يكون لحاضر أبنائه. إن حاضرك اليوم على مثال من حاضر الآباء والأجداد يوم كانوا حيث أنت، وعلى مثاله يكون حاضر الأبناء والأحفاد، يوم يتواجدون في حاضرهم حيث أنت، وإن حاضرك اليوم مع حاضر الآباء والأجداد في حاضرك يكشف لك، إن أدركته، مستقبل الأبناء والأحفاد في حاضرهم، مرتبطا بحاضرك. أنت في لا إله إلا الله بحاضرك مستقبل الآباء والأجداد يوم كانوا حيث أنت، وأنت في لا إله إلا الله بحاضرك ماضي الأبناء والأحفاد يوم يكونوا حيث أنت.

ها هي قضايا الدين ترفع الغلالة عن القيامة والبعث والأنا والهو للإنسان في لا إله إلا الله باتصال قديم الروح مع قادم الروح في إنسان لا إله إلا الله.

ما هو الدين؟ وما هو علم الدين؟ وما هو عَلَم الدين؟ إن الدين إنما هو الإنسان، وعلم الدين إنما هو علم الإنسان عن نفسه، وعلم الدين إنما هو الإنسان في علميته على معلومه عنه.

لقد كان محمد لنفسه، ولبيته، ولقومه، ولأمته، ولبشريته، ولزمانه، ولأرضه، ولسمواته، كان لذلك كله الدين كله، أظهره إنسان ربوبيته على الدين كله، وجعل منه إنسان عبوديته للجنس كله لنفسه رضيه عبدا، ولكافة الناس قدوة يتوحدون معه فيدخلون في لا إله إلا الله.

رضيه من رضيه ممن عرف، وممن به شرف...

رضيه من رضيه لنفسه إنسانا وعبدا لإنسان ربه، رضيه للعلم وللمعرفة وللا إله إلا الله نصبا وحقا وكتابا رمزت إليه قبلته. رضيه من رضيه لنفسه وللناس قبلة صلاتهم وعروة اتصالاتهم، وبيت حجيجهم وطوافهم، من دخله عرفه بيتا لله معنى قلبه فيه لقيه في لا إله إلا الله أهله، أسماؤه وصفاته. من دخله عرف في قيامه قيام الحق ووجهه وذاته، فقامت قيامته، وأدرك في انتشاره بنوره انتشار نور الحق بالحياة، وفي هديه هدي الحق من الله، وفي نفثاته روح الله، وفي فعله قدرة مولاه، وفي قيامه ووحدانيته أحدية الله بلا إله إلا الله.

جعله خالدا لأن مرسله رفيق أعلى خالد بلا إله إلا الله، ولأن رسالته قامت بالقول الخالد بلا إله إلا الله خالدة له ولمن آمن به، ولأن قومه صلحوا أو لم يصلحوا جمعوا، وانشئوا، وخلقوا، وتطوروا، وحيوا، وبعثوا في لا إله إلا الله، وبلا إله إلا الله.

فكان محمد هو الدين، فيما قام، ويوم قام، ويوم يبعث، ويوم يقوم، ويوم يمتد، ويوم يتكاثر، ويوم ينتشر، ويوم يعرف، ويوم يتعدد، ويوم يتحد ويتوحد، ويوم يدرك الناس أنه لا إله إلا الله فيه يقومون، وفيه يدخلون، وبابه يطرقون، وحوله يطوفون، وفي ساحته يتجولون، فيه في أنفسهم يتواجدون، ويسيرون من البيت المرفوع في رؤوسهم هامة كريمة مرفوعة، وجوها لما في قلوبهم من الحق بيوتا لله موضوعة، إلى البيت الموضوع في معنى قلوبهم برحمة الله، عَلما على الله، يسرون من المسجد الحرام على غير الله بين جوانحهم، إلى المسجد الأقصى في بيوت عقولهم من رؤوسهم تشرق بها أنفسهم بنور الحياة، وبشعلة نار الحياة من جذوتها متقدة بذواتهم، تضيء بها عقولهم بنضرة الحياة، وبنور الحياة، وتنصب بها هياكلهم عَلما عليه، بفراغها من كل ما سوى الله، دثارا لجذوة نوره ملتفة في حجاب بهياكلهم رحمة من الله.

فمن رحمته احتجاب الإنسان عن الإنسان، وعما دون الإنسان، وعن الوجود مملوكا للإنسان، بمعنى الإنسان بلا إله إلا الله، لا تطيق الأرض وطأته، ولا تحد السماء سعته، ولا يقهره الإطلاق. إنه يقوم بالإطلاق في الإطلاق طليقا برحمته له عبدا، وبه بنفسه محيطا، ومنه على الوجود سيدا، وللناس معلما وربا وأبا، وفي الناس رحمة وحقا بلا إله إلا الله، في لا إله إلا الله، من لا إله إلا الله إلى لا إله إلا الله.

هذه هي لا إله إلا الله، على ما حملها محمد، وعلى ما شرُف بها الأنبياء من قبله، عنها متحدثين، وعلى ما شرف بها الشهداء من بعده بها على الناس قائمين، وعلى ما قامها محمد في الأولين منبئا نبوءة ختمها بذاته، وعلى ما قامها محمد في الآخرين من بعده شاهدا شهادة يختمها يوما بذاته، ليقوم قياما يبدأه ويواصله ويختمه. وهكذا يكون كما كان في دورة للزمان قدوة وأسوة لمن قبله ليستكمل حاله به، ولمن

بعده ليقوم حاله فيه في العالمين. فهل نشهدنا لا إله إلا الله؟ وهل نشهدها لا إله إلا الله؟ وهل نشهد محمدا لا إله إلا الله، فنعرفه رسول الله، ونشرفه في قيامنا عبد الله، ونقومه في الناس كلمات الله، ووجوها له، وشهداء على الناس بشهادته علينا، قوامين على الناس بقيامه علينا، وقيامه بنا رحمة الله بنا للناس في خدمة الناس عبادا لله، فنكونه أمة محمد، ويكوننا أمة محمد، فتكن منا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، تشهده وتعرف وجه الحق منه بمحمد رسول الله، تؤمنه وتقومه لا إله إلا الله، الملك له والحمد له، لا شريك له، وهو على كل شيء قدير وبه عليم وعليه شهيد، ظاهره إنسانه وعبده، وباطنه إنسانه وروحه وحقه وربه، ومطلقه إنسانه وإلهه وغيبه، في لانهائي قيامه، ولانهائي موصوفه ووصفه، ولا نهائي مسماه وأسمائه وجماع اسمه، وأزلي معناه معروفا بالمعروف مما يعرف ومجهولا بالمجهول مما لا يدرك؟

اللهم وقد أقمتنا بلا إله إلا الله على ما بلغنا، وعلى ما صدقنا، وعلى ما هدينا فرددنا، اللهم بلا إله إلا الله فحققنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، وبمحمد رسول الله أدخلنا لا إله إلا الله رحمة منك ويسرا لطريقك، اللهم إنا بمحمد آمنا، على ما عرفنا وعلى ما قدرنا، لتعاليمه اتبعنا ما استطعنا، ولخطوه بهديه تابعنا، اللهم به فألحقنا، اللهم به فدركنا، اللهم به فعلمنا، اللهم به فارحمنا، اللهم به فساحة رحمتك أوردنا وأشهدنا.

اللهم إنا علمنا، ما علمتنا، وتحذّرنا من أنفسنا على ما حذرتنا ونبهتنا، وها نحن نردها إليك على طبيعتها، بُرآء منها، شاكرين لها، بها أوجدتنا وبها علمتنا، اللهم برحمتك فطهرها، ومن أغلال الشرك فحررها، ومن ظلام الضيق فأخرجها، وحجاب الغفلة عنها فارفعه، وبمحمد وقد تابعتك في اتباعه، وقد رددت اسمه في صَلاتها، وقد رددت ذكره في صِلاتها، وقد وصلته وصلّتك، اللهم به فأوصلها، وعنه لا تقطعها، وعن سوآتها فتجاوزها واغفر لها، وبرحمتك فعاملها، وبفضلك فاقبلها، وبمنتك فارحمها. اللهم إنا قد عرفنا أن رحمتك أكبر من إساءتنا، ومغفرتك أوسع من معاصينا، وأن حقك أقوى من باطلنا، اللهم عاملنا بما أنت له أهل مما عرفنا وقدرنا، ومما عنه عجزنا وجهلنا فما أدركنا، وعافنا مما نحن له أهل مما أبصرنا وكشفنا، ومما جهلنا وغاب عنا. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير، وقوّم سبيلنا حكاما ومحكومين، واغفر لنا حكاما ومحكومين، وتولَنا حكاما ومحكومين، واقبلنا برحمتك حكاما ومحكومين، وتولَنا حكاما ومحكومين، واقبلنا برحمتك حكاما ومحكومين. اللهم إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع رحمتك، اللهم حركنا حكاما ومحكومين بطوايا الخير ونوايا الخير، وأبعد عنا طوايا الشر ونوايا الشر، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد برش الروح المرشد عن علاقة الإنسان بالروح الأعظم:

(نحن نعلن أن الإنسان ليس في حاجة إلى مخلص أو إلى وسيط بين الروح العظيم وبينه، وأنه يحمل فوق كتفيه مسئولية أحماله، وأنه بخلقه اليومي يصنع أو يفسد حياته الروحية، وأنه إلهي اليوم مثل الأزل الذي يمكنه فيه أن يظهر تلك الألوهية بدرجة أعلى. إن الصفة الإلهية له لن تتغير أبدا إذ يبقي جوهرها كما هو إلى الأبد، ويمكن للإنسان إذا ما تطور أن يظهر أكثر وأكثر من ألوهيته الكامنة.

نحن نرفض وجود أي تعويذة لها القدرة على أن تحور نتيجة أعماله الخاصة، ونقول إن الروح الأعظم يهيمن على الكون بقانون لا يتغير ولا يتبدل، وأن كل إنسان منكم يحكم على نفسه من الحياة التي عاشها على الأرض. إنا لنذكر الذين عملوا من أجل هذه المبادئ وعانوا الاضطهاد يوما ما بأن ثمرات أعمالهم تقطف الآن، وأنه يمكنهم في قيامهم رؤية علامات النصر في كل أنحاء عالمكم، وهي تدل على أن النظام القديم يموت، وأن الحياة الجديدة للروح بدأت في الظهور.

إن السحب التي طالما حجبت شمس الحق الروحي تتشقق. الضوء يصل للقلوب ويضيء خلال حياة الآلاف التي لا تحصى الذين استعدوا ليكونوا رسل الحق الذي حررهم. لقد جئنا لنخلص الناس في عالمكم، وذلك بتعليمهم كيف يخلصون أنفسهم بأن يتنصلوا من الماضي الميت، ويحرروا أنفسهم من رباط المادة، والعقل المتحجر، والروح الحبيسة. جئنا لنعلن أنه يجب عليهم ألا يوافقوا على القديم لمجرد أنه قديم، وعليهم أن يبحثوا باجتهاد عن الحق، ويرفضوا أي شيء مخالف لبديهياتهم ومنطقهم.

إنا نعمل للتحرير الكامل المعاني، ونعلن حربا خالدة على كل القوى التي تعترض طريقنا من الأهواء والأنانية، وكل شيء يعترض تحقيق ذلك يجب أن يكتسح).